20120623-0001a-2

www.nowlebanon.com

معرض "17000" لـــرين محفوظ.. "أكيد باقيلنا منّن شي"!!

حسن عبّاس

"من آثار الحرب اللبنانية الأكثر إيلاماً هو إخفاء الآلاف من الأفراد الذين ما تزال أسرهم بإنتظار معلومات حول مصيرهم...". جملةٌ تقولها بألمٍ مقدّمة معرض "17000" للفنّانة "رين محفوظ" - وهو جزء من مشروع جمعيّة "معاً من أجل المفقودين" **Act for the disappeared** - والذي تحصل فعاليّاته في القاعة الزجاجيّة التابعة لوزارة السياحة (المطلّة على شارع الحمراء) وبرعاية السفارة السويسريّة.

في لبنان ١٧٠٠٠ مفقود ومخفيّ قسراً، دون أيّة معلومة عن مصيرهم. من هنا كان عنوان الـ Installation – التجهيز – الفنّي الذي استقرّ على ثلاث من واجهات القاعة الزجاجيّة التابعة لوزارة السياحة اللبنانيّة.

في اختيار الموقع مفارقة. لن تدعوك فجأةً إعلانات وزارة السياحة "للإبتسام" لأنّك في لبنان. على العكس، هناك ما نخجل منه. ودمعة أبديّة على وجنات ١٧٠٠٠ عائلة لم ولن يستطع الزمن أن يمسحها.

لن تصوّت إلى مغارة جعيتا، فمن عجائب الدنيا السبع هو أنّه "**من غير المعقول أن يتبخّر هذا الكمّ من البشر دون وجود أيّ شاهد أو دليل أو حتّى أثر**".. جملة معبّرة ثانية حملها نصّ المشروع.

ولن يعرض في نفس الواجهات مجسّمات أو تماثيل (على غرار متاحف الشمع عبر العالم)، لأميرات لبنانيّة يلبسن الطرطور والعبايات التقليديّة! ولن يكون مجالاً للإفتخار بتاريخٍ عريقٍ يُطلّ عليك من قصور "المعنيّين" و"الشهابيّين".. على العكس، ١٧٠٠٠ صورة "باسبور" بالأبيض والأسود لمفقود، لمخطوف تحدّق بك، تنظر إلى خمول وعدم اكتراث أكثريّةٍ "ذهبَت تبني وطن" ولا ندري كيف؟

صورٌ تدعوك لأن تخجل أمام جريمة موصوفة "ضدّ الإنسانيّة": فالضحيّة في وضعنا ليس المخفيّ قسراً فحسب. بلّ أفراد عائلته (وجيلَيْن ربّما لتاريخه) لم يغمض لهم جفن منذ عقود. لا يستطيعون أن يبادروا إلى "عمليّة الحداد" – Processus du deuil. لا يستطيعون أن يفرحوا، أن يبتسموا.. هم يثبون من على كرسيهم في كل مرّة يقرع جرس الباب...فمن يدري.

صورة ثلاثيّة الأبعاد لقضيّة المخطوفين

رين محفوظ أرادت في تجهيزها الفنيّ "إعادة رسم سياق قضيّة المفقودين". القضيّة تبدأ بـ"لحظة عنيفة" هي لحظة الخطف. والمجتمع اللبناني لا يستطيع تجاوز العنف المطلّ برأسه في لحظات متعاقبة طالما لم ينكشف مصير المفقودين خلال ١٥ عاماً من الحرب الأهليّة وخلال أعوام حسبناها سلماً.

تقول محفوظ "أردتّ التجهيز مطلاً على شارع عام لأنّني أريد مخاطبة كلّ الناس". تعود فتتابع وبكثير من القلق: " اخترتُ قضيّة المفقودين كموضوع للتجهيز لأنّ الموضوع يعنيني ويشكّل تهديداً لي. انتهت الحرب ولم نعالج أسبابها والوضع الآن على صوص ونقطة. كل ما بصير شي بخاف".

في عودة الى الـ Installation – التجهيز:

2012 06 23 - 0001b - 2

على إحدى الواجهات ترتصف جنباً إلى جنب لوحة تتألّف من صور صغيرة (فوتو باسبور) لمئات من المخطوفين. اللوحة تتكرّر فتتضاعف الوجوه لإعطاء صورة عن الكمّ الهائل من المفقودين خلال الحربِ الأهلية. ١٧٠٠٠ مفقود. الرقم غير محقّق ولكنّه الرقم الذي تتداوله الجمعيّات المعنيّة بالقضيّة. صار الرقم يشبه الأيقونة. تقول رين محفوظ: "على اللبنانيّين حفظ رقم ١٧٠٠٠ تماماً كما يحفظون أرقام ١٤ و٨ و٤٢٥..." فبالنسبة لها، "أولّ ما تبعث به اللوحة إليك هو الإحساس بالكمّ، الكمّ الكبير للمفقودين". فحتّى إذا ما اقتربت أكثر، ستتعرّف على وجوه تخفي ورائها آلاف الذكريات الحميمة، ذكريات تحتفظ بها آلاف عائلات وأحبّاء المفقودين".

على الواجهة الثانية صور كبيرة - Gros plan – على تفاصيل "جرّافات". آلات عملاقة، "ديناصورات" عنيفة. لعنف الجرّافات علاقة بعنف قضيّة المخطوفين. علاقة العَنفيْن (عنف الجرّافات وعنف الخطف) والتقائهما الرمزي تحقّقه المقابر الجماعيّة المنتشرة على الأراضي اللبنانية والممنوع المسّ بها إمعاناً في العنف. رفوش الجرّافات تشير إلى "العنف كأداة".. تشرح محفوظ. ومن عنف جرافات الـPoclain أو Bulldozer الذي يدمّر المادة (عندما لا يكون يخفي الجريمة)، عنف قضيّة المخطوفين المؤجّلة يدمّر نسيج المجتمع اللبناني و"يُنشّز" على ترنيمة السلم الأهلي.

على الواجهة الثالثة تتكدّس فوق بعضها البعض وجنباً إلى جنب "رزم" ثياب، "بالات" (مجموعات) منفصلة مرصوفة. كلّ "بالة"، مجموعة لربما ترمز إلى مقبرة جماعيّة، فالضحايا من "نزلاء" المقابر الجماعيّة كانوا يُدفنون بملابسهم فوق بعضهم البعض. أو لعلّها "رزم" ألبسة تخصّ المفقودين.. وقد بعثر ترتيبها عامل الزمن فأحدهم لم يعد يعتني بها بتأنّي.. (على عكس ما كانت تشتهر به مثلاً الراحلة أوديت سالم والدة اثنين من المخطوفين). كلتيّ الفكرتين تتبادران إلى ذهنك. تقول رين محفوظ: "الثياب آثار الأشخاص. اهتمّيت بفكرة التكديس، بفكرة عمار يتركّب من التكديس. نحن عمّرنا حياتنا فوق ذكريات أهملناها". تتابع، "عمّرنا حياتنا فوق ذكريات أهملناها ولكن هذه الذكريات تأبى أن تهملنا أو تتركنا بحالنا. تعود إلينا بين الفينة والأخرى بأشكال مختلفة. نتعرّف عليها بما تظهره من عنف".

المعرض هو جزء من مشروع "التاريخ الشفهي" الذي تقوم به جمعية "معاً من أجل المفقودين". المشروع انطلق، بدعم من السفارة السويسريّة في تشرين الأول 2011. المرحلة الأولى من المشروع هي تدريب 30 شاباً يتجاوز عمرهم الثامنة عشرة عاماً على تقنيّات إجراء المقابلات وتحسيسهم حيال مسألة المفقودين اللبنانيين خلال الحرب الأهليّة. الخطوة الأولى أنجزت وبدأت المرحلة الثانية من المشروع والمتمثّلة بقيام هؤلاء الشباب المدرّبين بإجراء مقابلات مع أقارب الأشخاص المخفيّين. هذا المشروع يهدف، برأي المديرة التنفيذيّة لجمعيّة "معاً من أجل المفقودين" بيرانجير بينو، إلى "خلق ديناميّة تربط بين الأجيال الجديدة والأجيال الأقدم" من أجل إعطاء القضيّة بعداً وطنياً تشترك به كلّ الأجيال. "ما يهمّنا ليس المقابلات التي سيجريها الشباب بقدر ما هو ذهاب الشباب إلى عائلاتهم ومحيطهم ليسألوا عن المفقودين وليصيروا من المعنيين بالقضية"، كما تؤكد رئيسة الجمعيّة جوستين دي مايو التي تستحضر التجربة الأسبانيّة مع موضوع المفقودين خلال الحروب الأهليّة وما يميّزها من حراك الأجيال الجديدة لكشف مصائرهم. ... "بالحكي كل شي بيتغير" على حدّ قول أحد الشباب المشاركين بالمشروع... في تيمة فيلم قصير صُوّر وعرض بالمناسبة.